المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 17-06-2007 العـــدد : 16125
الصفحـات : 20 المسلسل : 128

ملف صحفي

# المملكة وأوروبا.. علاقات تاريخية متميزة وآمال ومصالح مشتركة

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 17-06-2007 العـــدد : 16125
الصفحـات : 20 المسلسل : 128

إبراهيم عباس - جدة

العلاقات الشخصية، والتوافق الفكري، والمواقف المشتركة، والإيمان بالمُثل العُليا والمبادئ السامية.. تشكّل كلها عنصرًا هامًا من عناصر تمتين العلاقات بين الدول. كما أن تلك العلاقات لا يمكن لها الانطلاق إلى آفاقها الرحبة إذا لم تتوافق على القضايا العادلة، وتلتقي عند المصالح المشتركة. وهذه العوامل كلها شكّلت إطارًا عامًا للعلاقات السعودية - الأوروبية. وقبل التطرق إلى تلك العلاقات، فإنه ينبغي التأكيد على أن المملكة العربية السعودية - باعتبارها إحدى الدول العربية - تنظر إلى علاقاتها مع العالم من منظار المصلحة العربية بعامة، ومصلحتها الوطنية بخاصة، وهو ما يعني أيضًا أن تلك العلاقات لا يمكن أن تنفصل عن المواقف العربية والقضايا العربية، لاسيما في ظل مبدأ التضامن العربي، الذي يُعتبر أحد المنطلقات الأساسية في السياسة الخارجية السعودية .

وقد فرضت الجغرافيا السياسية على أوروبا والمنطقة العربية ترابطا تاريخيًا وحضاريًا منذ القدم. صحيح أن العلاقات لم تكن دائمًا طيبة، لكنها كانت في المحصلة إيجابية ومتفاعلة. وحيث أكسبها حوض المتوسط نوعًا من الدفء والتواصل الوجداني، والتلاقح الحضاري.

وأوروبا تدرك جيدًا أن شعوب الشرق الأوسط عامة، والشعب العربي خاصة، كان له دور حضاري فاعل في المسيرة الحضارية العالمية، وأنه من مصلحة الجانبين أن يُستأنف هذا الدور للإسهام في حل المشاكل الحضارية والاقتصادية التي تواجه العالم، وتنذر بالفوضى خاصة في ظل تردد الحديث مجددًا حول تجدد الحرب الباردة، واتساع دوائر الحرب على الإرهاب.

## معادلات وتوازنات

وتفرض الحقيقة الإستراتيجية في العلاقة بين المنظومتين نفسها من خلال المعادلة الأمنية التي تنص على أن أمن أوروبا ورفاهها يرتبط سلبًا وإيجابًا بأمن منطقة الشرق الأوسط واستقرارها.. والعكس صحيح أيضًا، ومثاله الثمن الباهظ الذي دفعته الشعوب العربية للحربين العالميتين الأولى والثانية. لذا فقد ظلت أوروبا تسعى دومًا إلى التطلّع نحو شرق أوسط يسوده السلام والعدالة والحرية، بعيدًا عن الصراعات الدولية، وظلّت الدول العربية تتطلّع إلى أوروبا، يبتعد عنها شبح الحرب والتهديدات النووية.

ومما يفتح الآفاق أمام علاقات عربية أوروبية متكافئة ومتوازنة ومتفاعلة مرور وقت طويل على نهاية العهود الاستعمارية التي خضعت فيه غالبية دول المنطقة للاستعمار البريطاني الفرنسي، وبما أوجد مناخًا جديدًا من العلاقات بين الجانبين تسوده أجواء الود والتعاون والشراكة.

ومنطقة الشرق الأوسط - بموقعها ونفطها وإمكانتها - لا تؤثر فقط على أمن أوروبا، وإنما أيضًا حالة الفوضى والغليان التي تسود بلدان كثيرة في المنطقة منذ حرب الخليج الثالثة، وهو ما جعل أوروبا تولّي وجهها شطر المنطقة بشكل متواصل منذ ذلك الحين، باذلة أقصى الجهود لنزع فتيل الأزمات المشتعلة هنا وهناك، وللحيلولة دون اندلاع المزيد من الحروب.

ويدرك العرب أن الدور الأوروبي إزاء قضايا المنطقة، وفي مقدمتها قضية السلام في الشرق الأوسط، لا يمكن أن يشكّل البديل للدور الأمريكي انطلاقًا من الحقيقة الإستراتيجية بأن دول الاتحاد الأوروبي هي أعضاء في حلف الناتو الذي تقوده الولايات المتحدة. ولذا فإن الآمال العربية المعقودة دائمًا على دور أوروبي نشط ومتوازن وفعّال تتلاقى عند إدراك العرب للحقيقة، بأن مثل هذا الدور لا يمكن أن ينفصل عن الدور الأمريكي، ولكنه يمكن أن يكون مكملا له.

### جهود القائد المؤسس

أولى الملك عبد العزيز العلاقات مع أوروبا أهمية كبيرة منذ توليه الأمر، وكان يؤمن بأهمية الصداقة والتعاون بين الدول لإشاعة أجواء الأمن والسلم الدوليين. ولذا فكان حرصه - يرحمه الله - على إقامة علاقات دبلوماسية وثيقة بين بلاده وتلك الدول بالغًا. وكان أحد الدوافع الرئيسة لإقامة هذه العلاقات وإنمائها استشعاره بشكل من أشكال المسؤولية إزاء الجاليات العربية والإسلامية في تلك الدول، وإيمانه بأن إقامة علاقات طيبة معها من شأنه أن يخدم مصلحة تلك الجاليات والأقليات. وفي خطابه في جدة عام ١٩٢٦م، جعل الملك عبد العزيز - يرحمه الله - أهم قضية تعنيه في علاقته مع الدول الأجنبية هي سلامة وأوضاع الجاليات العربية والإسلامية في تلك الدول: "ثم إن لنا على الدول حقًا فوق ذلك كله، وهو أهم شيء يهمنا مراعاته، وذلك

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 17-06-2007 العـــدد : 16125
الصفحـات : 20 المسلسل : 128

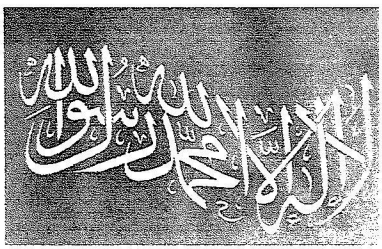


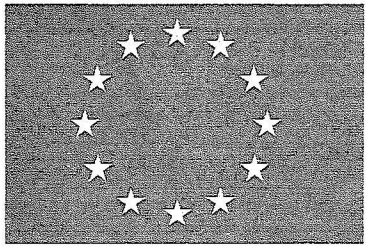

أن لنا في الديار النائية والقصية إخوانًا من المسلمين والعرب.. نطلب مراعاتهم، وحفظ حقوقهم. ولي الأمل الوطيد في أن الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الإسلامية والعربية أن لا تدّخر وسعًا في أداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلدهم".

وكانت المملكة من الدول المؤسسة لمنظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥، فقط بعد بضعة شهور من اشتراكها في تأسيس جامعة الدول العربية، حيث تبلورت سياستها منذ ذلك الحين على بذل جهودها لتحقيق السلام والأمن والرفاهية لشعبها، وللأمتين العربية والإسلامية، وللعالم كله. ويرى أحد الباحثين أن قيام الملك عبد العزيز على شؤون الحرمين الشريفين اقتضى منه أن يكون داعية سلام، وأن يقف ضد الإرهاب بجميع صوره وأشكاله.

ومن مظاهر اهتمام الملك عبد العزيز بإقامة علاقات وطيدة مع الدول الأوروبية إيفاده ابنه الأمير فيصل في شهر ذي القعدة ١٣٧٧هـ - ١٩١٩م ممثلاً عنه إلى بريطانيا، وانتقاله بعد زيارته لندن إلى باريس، ثم بلجيكا. ودامت رحلته تلك نحو ستة أشهر، وكان عمره حينذاك ١٣عامًا.

ثم سافر الفيصل - يرحمه الله - مرة أخرى إلى أوروبا عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م، وكان يرافقه عبد الله الدملوجي. وشملت جولته تلك عدة دول أوروبية بينها فرنسا، بهدف تثبيت العلاقات معها.

وفي عام ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، قام الفيصل بجولة أخرى لأوروبا كانت فرنسا ضمن أهم محطاتها. وفي عام ١٩٣٦ كلّف الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل - يرحمهما الله - السفر إلى فرنسا لشكرها على اعترافها السريع بالمملكة العربية السعودية. وتوالت زيارة القادة والمسؤولين السعوديين لعديد الدول الأوروبية التي قام قادتها - بدورهم - بزيارات للمملكة، عكست رغبة الطرفين وأهدافهما في تطوير علاقات الصداقة ودعم أواصر التعاون بينهما، وبما يحقق المصالح والأهداف المشتركة بين المملكة وتلك الدول.

وشهدت العلاقات الفرنسية السعودية - على الأخص - نقلة نوعية عام ١٩٦٧م على إثر زيارة الملك فيصل لباريس في تلك العام. ففي مفاوضات مباشرة بينه وبين الجنرال ديغول كانت الحجة والبراهين قوية لدى الفيصل، غيّر -بعدها- الزعيم الفرنسي قناعاته إزاء الصراع العربي - الإسرائيلي، وأوقف على الفور تصدير السلاح إلى (إسرائيل)، وأعلن تضامنه مع العرب.

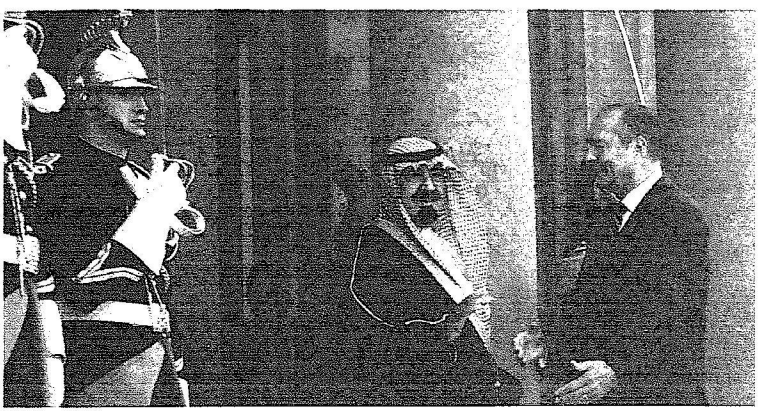

خادم الحرمين مع رئيس فرنسا السابق شيراك

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 17-06-2007 العـــدد : 16125
الصفحـات : 20 المسلسل : 128

## نقلة نوعية

ولم تتوقف العلاقات السعودية - الفرنسية في عهد الفيصل - رحمه الله - بعد عهد الرئيس ديجول، إذ إنها شهدت نقلة نوعية عندما حط الفيصل في باريس في عهد الرئيس جورج بومبيدو، وذلك عام ١٩٧٣م.

وقد نتج عن تلك الزيارة تفهم كل من الجانبين لموقف الطرف الآخر حول جملة المسائل والقضايا الدولية المطروحة. وكان البعض يراهن على أن العلاقات العربية - الفرنسية بشكل عام، والفرنسية - السعودية بشكل خاص، ستتأثر بعد تسلم الرئيس فرنسوا ميتران الحكم، كونه كان اشتراكيًا، وابتعاده كل البعد عن الديجولية، بيد أن ذلك لم يحدث قط.

فقد حرص الرئيس الفرنسي الجديد، ومنذ تسلمه للحكم عام ١٩٨١م على التأكيد على أن اليسار الفرنسي - الذي عاد الى السلطة بعد غياب طويل- حريص على الحفاظ على علاقات مميزة مع المملكة العربية السعودية لحماية المصالح الفرنسية، ولاقتناع الفرنسيين - أيًا تكن انتماءاتهم السياسية - بأن دور المملكة أساسي في الحفاظ على استقرار الأمن والسلام في منطقة الخليج، وفي منطقة الشرق الأوسط، ولكونها دولة يُحسب لها حساب في العالمين العربي والإسلامي، بحكم موقعها الروحي والوجداني، باعتبارها أرض الحرمين الشريفين، وقبلة المسلمين من جميع أنحاء العالم، وبحكم مسؤولياتها العربية والإسلامية، ومواردها النفطية.

وحملت هذه القناعات -القائمة على تحليل عميق- الرئيس الفرنسي السابق على تخصيص أول زيارة يؤديها إلى الخارج، بعد وصوله إلى السلطة سنة (١٩٨١م) إلى المملكة. وكان الرئيس ميتران أحد السياسيين البارزين الذين أعطوا الأهمية التي تستحق لمبادرة المملكة عام ١٩٧٧م، بتقديم ٧و٧ مليارات فرنك لمساعدة الدول الفقيرة، ولم يكتف بالإشادة بها، بل دعا أوروبا والغرب إلى أخذ الدرس، والاعتبار به. وذكر في ١٣/٣/١٩٧٧م بهذا الصدد: "المبادرة التي قامت بها المملكة العربية السعودية باتجاه العالم الرابع (وقيمتها سبعة مليارات ونصف المليار من الفرنكات) تنتمي - بلا جدال - إلى الحيّز الدبلوماسي. فالمساعدات المالية لسوريا - مثلاً- ليست بمعزل عن ذهنية الاعتدال التي برهن عليها حافظ الأسد. خلال التقارب بين الملك حسين والفلسطينيين. وسيعلم الملأ عمّا قريب أن الخطوط العريضة للاتفاق الذي يجري تحضيره لجنيف، إنما رُسمت في الرياض. لكن الاكتفاء بالقول: إن المسألة مسألة مهارة وحسب، يكاد يؤدي إلى بلبلتنا. عندما يدركون بحوزة المرء سلاحًا عظيمًا، لاسيما البترول، فإن من الأفضل له أن يستخدمه في محله. بهذا الصدد نرى أن السعوديين يلقنوننا درسًا، من الحكمة أن نتأمل في معانيه. إذ ماذا- نحن- فاعلون بقمحنا، وزبدتنا، وفولاذنا، وأموالنا؟".

وفي العام نفسه أشاد ميتران بالسياسة النفطية السعودية قائلاً: "ولا شك أننا نتذكر الموقف المعتدل الذي اتّخذته المملكة العربية السعودية عندما قررت منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبيك) أن ترفع سعر النفط، كل الأمور تدعو للاعتقاد بأن التسوية حول الرفع العام للأسعار بنسبة ٥و٧ ٪ سوف يضع حدًا نهائيًا، خلال فترة وجيزة لنظام السعر المزدوج. بأسلوب مرن، وعزيمة ثابتة، ووسائل قادرة ، استطاعت المملكة أن تحتل موقعها ضمن البلدان التي تطمح إلى الاضطلاع بدور عالمي".

## إسبانيا في القلب!

العلاقات العربية الإسبانية التي امتزجت وجدانيًا وثقافيًا عبر سبعة قرون من الانصهار الحضاري، والتي لاتزال ذكراها ماثلة في غرناطة، وأشبيلية، وقرطبة، وطليطلة، وبلد الوزير.. من خلال التراث الإسلامي ومظاهره في تلك المدن التي ترمز للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤكدة على خصوصية تلك العلاقات وعمقها، والتي تعتبر العامل الأساس الذي يقف وراء رسوخ تلك العلاقات ومتانتها في العصر الحديث، وحيث ظلت إسبانيا على مر العقود إحدى أهم الدول الأوروبية دعمًا لقضايا العرب والمسلمين، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. وتعتبر إسبانيا إحدى دول الغرب القليلة التي لم تربط بين الإرهاب والإسلام في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية، حيث أكد العديد من المسؤولين الإسبانيين في مناسبات عدة أنه من الجهل المطلق الربط بين الإسلام والإرهاب، وأن الدين الإسلامي والمسيحي يدعوان إلى الأخوّة وليس إلى الموت.